

أساليب تقديم الشخصية في رواية «القمر والأسوار» لعبدالرحمن مجيد الربيعي

شروق لطيف الركابي

طالبة الدكتوراه في اللغة و آدابها بجامعة تربيت مدرس - طهران - إيران.

* كبري روشنفكر

استاذة في اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس - طهران - إيران.

فرامرز ميرزائي

أستاذ في اللغة العربية و آدابها بجامعة تربيت مدرس - طهران - إيران.

*البريد الإلكتروني: kroshan@modares.ac.ir

الاستلام	2025/8/15	المراجعة	2025/9/10	القبول	2025/10/10	النشر	2026/1/1
----------	-----------	----------	-----------	--------	------------	-------	----------

الملخص:

تعد الشخصية عصب الحياة في القصة و محوراً للحركة فيها، فهي بما تقول وتفعل وتفكر تقود القصة من بدايتها إلى وسطها إلى نهايتها حيث يتجلى من خلالها مضمون الرواية فإنها إذا ركيزة القاص المبدئية في إيضاح حيثيات الواقع القائم أمام المتلقى وكذلك استجلاء حركية الحياة وتعاملاتها. أما فيما يعود إلى رواية «القمر والأسوار» للروائي العراقي عبد الرحمن المجيد الربيعي والتي تدرج ضمن المدرسة الواقعية فإن الشخصيات فيها لها ملامحها المحلية وطباعها القومية حيث قام الروائي بعرض شخصيات في جوانبها الجسدية الخارجية والنفسية الداخلية وقد نحى منحى في ذلك تقليداً إذ رسم شخصياته بطريقتين المتبعين في عديد من الاعمال القصصية وهي الطريقة التحليلية حيث رسم أولئك الشخصيات من الخارج شارحاً عواطفها وأفكارها وانفعالاتها معلقاً على سلوكها وتصرفاتها والطريقة التمثيلية التي من خلالها ترك شخصيات القصة تكشف طبيعتها من خلال تصرفاتها وأحاديثها واعترافاتها كما يعهد أحياناً إلى توضيح صفات البطل في طريق احاديث الشخصيات الأخرى عنه. لقد تراءت للباحثة ومن خلال تمعنّها في نص الرواية وتركيزها بشكل خاص على الشخصيات التي تؤدي أدوارها فيها أن الروائي صاغ شخصيات روايته بما يتفق وأغراضه الفنية والفكرية فأضاف إليها من روح فنية. وانبثق سؤالها الجوهرى من هذا الواقع وهو كيف أنّ الروائي وفق أم لم يوفق في إنجاح ما كان يصبوا إليه من رسم تحليلي أو تمثيلي لشخصياته كما بنيت فرضيته على التساؤل نفسه؛ أما المنهج المعتمد فإنه لا يقتصر على الوصفي التحليلي فحسب وإنما يتجاوزهما إلى التجريب النقدي، حيث هناك مشاهد بعينها لا تتماشى مع واقع النص في شقيه الفني والفكري، أي في البناء الفني والرؤية السردية – إن صح التعبير – مثلما نلاحظ أن الشخصيات مثلاً تتحدث خارج الإطار الفكري الذي تعيشه والنطاق المحدد لمستواه الاجتماعي والثقافي، أو أنّ حالاتها النفسية لا تتسجم مع واقع يقضيه البطل وما إليها من تقنيات روائية تستأهل إعادة النظر فيها وهذه هي الإشكالية المطروحة في هذا البحث، وأخيراً هناك غاية صدرت عن فرضية العمل للتأكد من صحتها من خلال هذه الورقة ترمي إليه.

الكلمات المفتاحية:

عبد الرحمن مجيد الربيعي، القمر والأسوار، الشخصيات، إشكالية الأدوار، الوقفة النقدية.

Methods of Presenting the Character in the Novel Al-Qamaru wal Aswar (The Moon and The Fences) by Abdul Rahman Majeed Al-Rubaie

Shurooq Latif Al-Rikabi:

PhD student in Language and Literature at Tarbiat Modares University, Tehran, Iran.

*** Kobra Roshanfekar**

Professor of tarbiat modares university, department of Arabic language & literature, Iran, Tehran.

*** Faramarz Mirzaei:**

Professor of tarbiat modares university, department of Arabic language & literature, Iran, Tehran.

*Email: kroshan@modares.ac.ir

Abstract:

The character is the nerve of life in the story and the axis of movement within it. It leads the narrative from its beginning to its middle and to its end, revealing the essence of the novel through what the characters say, do, and think. The character is thus a fundamental pillar for the creative storyteller in clarifying the aspects of the reality presented to the audience, as well as in illuminating the dynamics of life and its interactions. As for the novel "The Moon and the Walls" by the Iraqi novelist Abdul Rahman Majid Al-Rubaie, which falls under the realist school, its characters have distinctive local features and national traits. The novelist presents characters in their physical external aspects and their internal psychological attributes. He adopts a traditional approach in this regard, portraying his characters through two methods commonly used in numerous narrative works: the analytical method, where these characters are depicted from the outside, explaining their emotions, thoughts, and reactions while commenting on their behaviors and actions; and the representational method, which allows the characters to reveal their nature through their actions, conversations, and confessions. Sometimes, the novelist clarifies the hero's traits through the dialogues of other characters about him. Through her reflection on the text of the novel and her specific focus on the characters playing their roles, the researcher finds that the novelist has shaped the characters of his novel in accordance with his artistic and intellectual purposes, adding an artistic spirit to them. A fundamental question arose from this reality: how successful was the novelist in achieving what he aspired to in the analytical or representational portrayal of his characters? The hypothesis was built upon this very question. The adopted methodology does not merely rely on descriptive analysis but also transcends it to critical experimentation, as there are specific scenes that do not align with the reality of the text in its artistic and intellectual aspects, namely in the artistic structure and narrative vision, if the term is appropriate. For instance, we observe that the characters sometimes speak outside the intellectual framework they experience and the specific scope of their social and cultural level, or that their psychological states do not align with the reality in which the hero lives. This brings us to narrative techniques that warrant reconsideration. This is the problematic issue posed in this research. Lastly, there is a goal derived from the hypothesis of the work, which seeks to confirm its validity through this paper.

Key words: Abdul Rahman Majid Al-Rubaie, The Moon and the Walls, characters, role problems, critical perspective.

المقدمة:

استعرض النقاد جوانب متعددة من الشخصية القصصية مؤكدين أنّ الشخصية هي نوع من إعادة بناء للنص من قبل القاري بمعنى أنّ القاري من خلال قراءة للنص السردى وعلى أثر انطباعاته عن أمزجة وتوجهات الشخصية نزعاتها يؤول هذا المكون الأساس في النص السردى. ذلك لأنّ الشخصية أشمل من كونها كائناً إنسانياً بل قد تكون، ظاهرة مجردة كالعقل أو المنصب أو أية مادة بيئية أخرى مثلما ما نلاحظ مثلاً في ظاهري «القميص» و«الحلم» في قصة يوسف بالقرآن الكريم حيث يؤدى كل واحد منها دور شخصيات نشطة ومتحركة في أيما جهة ولكل فاعليته السردية وإيحاءاته الفنية. على هذا الأساس فإنّ الشخصية تتحول من مجرد كائن انساني إلى علامة فاعلة في الخطاب و في الخطاب السردى بوجه أخص؛ حيث تتضح دلالات الشخصيات في النص من خلال «علاقات التشابه والتقابل والترتيب والتوزيع التي تربطها بالشخصيات الأخرى وبقيمة عناصر السرد سواء داخل النص». (الحجيلان، 2009: ص7). وهذا ما يتجلى في الرواية إذ تتحدد قامات الشخصيات إمّا من خلال النقل و السرد وإمّا عبر الحوار الجاري بينها وبين الآخرين كما نجد فيها أنّ عناصر البيئة إلى جانب شخصيات إنسانية تساهم في الإدلاء بالمعاني والإتيان بالدلالات وهذا ما دفع الباحثة أنّ تدرس أبعادها لتستل منها نتائج تتوخاها بعد عرض شامل لموضوع البحث وذلك لاستظهار الملامح المائزة لشخصيات الرواية.

مع أنّ مثل هذه البحوث تتطلب مناهج محدّدة، كالمناهج الوصفية – التحليلية باعتباره الأقرب والألصق إليها، بيد أنّ هنالك مواقف وشروط وملابسات سواء في البناء الفني أو الرؤية السردية التي ينطلق منها هذا البناء تقتضى توظيف آليات منهجية أخرى لاستكناه دواخل الشخصيات ولواعج الحبّ أو الكره وما إليها من مشاعر وأحاسيس يتطلب تحليلها منهجاً أو مناهج أخرى اكتمالاً لمهمة الدرس الفني للنص أو الخطاب ومن جملة هذه المناهج المساعدة، المنهج النقدي ضمن توجهه الواقعي القائم على مبادئه المرسومة، ذلك لأنّ الوصف والتحليل قد لا يستوفى في بعض المواقف الشروط اللازمة لفهم حيثيات النص وتعاطيه رؤوياً وبحثياً على شاكلة فاحصة ذات دقة واستيعاب، إلّا أن يدعمه أو يسانده المنهج النقدي واعتماد ركائزه المعروفة، ثمّ إنّ هذان المنهجان يصبان في رافد يمكن تسميته بالمنهج التكاملي الذي يجمع المناهج التاريخية و النفسي و الاجتماعي و يستوعب الأبعاد والجوانب الفنية والفكرية وما إليها من أبعاد وأطر تنسرب في منافذ النص المفتوحة أو المغلقة حيث يستوجب ذلك الكشف ومن ثمّ استعراض حيثياته. ولاتفوتنا الإشارة الى أن المنهج المتوفى تيلاء مع الرؤيه المنصبه على الشخصيات و كيفية عرضهم وفق قاماتهم بمعنى أنه يساعد في اماطة اللثام عن صفاتهم و رؤاهم و توجهاتهم الفكرية.

الأسئلة

1. كيف صوّر الروائي عبد الرحمن مجيد الربيعي شخصيات روايته.

2. ما المآخذ الموجّهة إلى أسلوب عرضه وتحليله للشخصيات.

الفرضيات

1. لقد صوّر الكاتب شخصياته بطريقة تقليدية إذ هم في تصرفاتهم وفي أحاديثهم المتبادلة ومواقفهم يعكسون واقع المجتمع العشائري وكذلك المجتمع الحديث العهد بالانفتاح المدني.

2. يبدو أن هناك نوعاً من عدم التناغم بين ذوات الشخصيات وما يصدر منهم من آراء أو أحاديث قد لا تتناسب إلى واقعهم الفكري أو بتعبير آخر فإنّ رسم الشخصيات قد لا يتوافق مع الادوار التي تنطاط إليها.

سيرة الروائي

ولد عبدالرحمن مجيد الربيعي عام ١٩٣٩م بمدينة الناصرية إحدى مدن جنوب العراق وإنها مدينة ذات الطابعين التاريخي والثقافي. درس الربيعي الفن في معهد الفنون الجميلة وتخرج منها حاصلاً

على دبلوم الفن عام ١٩٥٨م. عاد إلى مسقط رأسه ليمارس مهنة التعليم لسنوات عدة تفرغ عبد الرحمن مجيد الربيعي للعمل الصحفي حيث أشرف على عدد من الصفحات والأعمدة الثقافية، مثل «الفجر الجديد والأبناء» وكذلك مجلة «الأقلام». توجه الربيعي في أواسط السبعينات إلى مصر والتحق هناك بالمعهد العالي، ولكن صديقاً له وهو الناقد الدكتور عبد المنعم تليمة الذي كان يحاضر في ذلك المعهد أفضل مشروعه - كما يقول الربيعي - قائلاً له: «ما حاجتك للمجستير والدكتوراه يا عبد الرحمن دع الآخرين يكتبون عنك واحمل أغراضك وعد إلى بغداد وواصل الكتابة وربما تكون هذه النصيحة هي المفصل الذي شكل انعطافاً جوهرياً في مسيرة الربيعي الأدبية؛ فقد أصغى لهذه النصيحة واضعاً حداً لطموحه الأكاديمي وملقياً بفرشاة الرسم جانباً ليتفرغ تماماً إلى الكتابة التيأجاد فيها وهذا ما لاحظته فيما بعد من خلال مؤلفاته الكثيرة في القصة والرواية والنقد، كما تحققت نبوءة صديقه الدكتور عبد المنعم - على حد قول الربيعي - بقوله «ووجدت أعمالي القصصية والروائية (هوى) من قبل الدارسين الأكاديميين في عدد من الجامعات العربية والعالمية بشكل لم يحظ به كاتب قصة أو رواية آخر منالعراق. انتقل في أواخر السبعينات تحديداً في عام (١٩٧٨) إلى بيروت وعمل مديراً لمركز ثقافي عراقي في محاولة منه لإعادة الصلة مع بعض الأصدقاء وخصوصاً شعراء مجلة «شعر» ومنهم شوقي أبي شقرا، أنسي الحاج و مؤسس المجلة يوسف الخاللم تقتصر مؤلفات الربيعي على جنس أدبي واحد وإنما تنوعت لتشمل القصة والرواية وبعضالمحاولات الشعرية غير الجادة كما وصفها الربيعي نفسه - بالإضافة إلى دراساته النقدية التي حملت آراءه ورؤاه فيفنون القصة والرواية والسيرة الذاتية والشعر.

الدراسات السابقة

ثمة دراسات تناولت عناصر قصصية في روايات عبد المجيد الربيعي ومنها ما عالجت رواية القمر والأسوار في قضاياها الدرامية من مكان وزمان وكذلك شخصيات ومنها:

كتاب (عبد الرحمن مجيد الربيعي والبطل في القصة العربية العاصرة)، إعداد افنان قاسم، 1948، يتناول هذا الكتاب بعداً مختلفاً في الشخصيات القصصية التي لعبت دوراً ثابتاً أو نامياً، أولاً أو ثانوياً ضمن توجهات سياسية واجتماعية وثقافية شكلت الرؤية التي حكمت الروائي الربيعي بناءه الفني لرواياته.

المقالة: (بناء الشخصية الروائية وإشكالية تحول القيم بين الريف والمدينة، رواية القمر والأسوار أنموذجاً)، للباحث: باقر جواد محمد رضا الزجاجة، 2009. وقد استعرض الكاتب في مقاله، الشخصيات بمختلف اجناسهم وأنماطهم وتوجهاتهم، رجالاً ونساءً ومتعلماً وأمياً، شيوخاً وشباباً، مدنياً وريفياً محدداً مواقفهم وانتماءاتهم إلى البيئات الحضرية والبدوية، محدداً وظيفة كل واحد منها في بناء الروائية السردية وقد وفق إلى حد بعيد في تحديد قامات الشخصيات وأدوارها في إطار هذه الرواية، كما رصد الأحوال الاجتماعية والسياسية التي جعلت الروائي يبني على أسس رؤيته الفنية وبناء الدرامي.

مقالة الشخصية الانهزامية في رواية «الوشم» للروائي عبد الرحمن مجيد الربيعي 2013م، للكاتب ابراهيم الياسري، لقد استعرض الكاتب في مقاله هذا، ملامح هذه الشخصية الانهزامية في العمل الدرامي لدى الروائي الربيعي، تلك الشخصية التي ترى العالم مغيباً ضبابياً، ويطرح دائماً على نفسه في مواجهة هذا العالم أسئلة يكون عصباً عليه ايجاد إجابة عنها، وقد يؤول حال مثل هذه الشخصية إلى الجنون أو الموت أو الهجرة.

رسالة (أنماط الشخصية في قصص «جمال نوري»)، إعداد: خالد جعفر سليم عام 2017 والنتيجة التي يتوصل إليها الباحث في رسالته هي أنّ شخصيات الروائي (جمال نوري) شخصيات نمطية قد تجنح إلى الغموض أحياناً ويمكن اعتبار هذا الأسلوب التي اتبعه الروائي كما يرى الباحث أسلوباً سردياً خاصاً به، ثم إنّ هذه الشخصيات متوقعة على ذواتها لا ترغب في التصريح ولا الوضوح ولا المتظهر العالمي لا يجد الباحث أنّ تلك الشخصيات في الكثير من الأحيان غير مسماة ومفتوحة وفق التوجه التأويلي.

مقالة: اسلوبية السرد النسائي العراقي و التقاطب المكاني في رواية «التانكي» لعالية ممدوح، للباحثة فاطمة سلّكي، و اشراف الدكتور كبرى روشنفكر و الدكتور فرامرز ميرزاني، 2023، تروم المقالة أن تسلط الضوء على التجربة الأدبية للروائية العراقية عالية ممدوح كما تبرز الكاتبة في مسعاها إبراز مكان التميز الأسلوبي في محاولة على اهم ظواهر السرد الاسلوبي في الرواية المذكورة.

ملاح الشخصيات

إنّ المتلقى أو القارئ الذي توجه إليه الفكرة قد لا يمكنه أن يعرف طبيعة الشخصيات بل قد يستعصى عليه تفسير سلوكياتهم وتصرفاتهم لعدم استيعابه لمكونات أخرى في الرواية، كأمثال البيئة أو الفضاء النصي في مختلف تمثالاتها من المكان والزمان وظواهر بيئة أخرى، كالحوانات والجمادات وأية ظاهرة أخرى تتعلق بذلك الفضاء كما ليس بمقدور، أن يعرف النواة المركزية للرواية وهي الفكرة الرئيسية التي تدور حولها أحداث الرواية ووقائعها لذلك يجدر به أن يلمّ بهذه المكونات في خطوطها العريضة وإن لم نقل في تفاصيلها إذأ «نحن القراء لا نستطيع معرفة الشخصيات إلّا من خلال علاقتها بالركائز الأخرى للرواية مثل الحبكة والمكان والزمان والشخصيات الثانوية القريبة منهم، لأنّ هذا يجب أن يكون له تأثير قريب أو بعيد على الشخصيات حيث تتحول أفكارهم ودوافعهم إلى أفعال تتفق مع أحداث الرواية ويتم توزيع موضوع الرواية أمام الشخصيات بحيث يأخذ كل منهم مكانه ويتم تمثيل الثورات النفسية والتغييرات الفكرية منهم حسب رؤى المؤلف». (مورجان فوسنر، 1994: 36).

أنماط الشخصيات واساليب عرضها

قد حدّد النقاد الشخصيات في الرواية إلى أنماط عدة وحدّدوا لكل واحد منها دوراً خاصاً بها، ويمكن بيان ملامح وطبيعة الشخصيات وفق التقسيم الآتي:

«1. الشخصيات الرئيسية: - تعتبر الشخصيات الرئيسية المحور الأساسي للرواية. - تتحمل عبء الأحداث الرئيسية وتتطور على مدى تقدم الرواية. - تمثل الشخصية الرئيسية غالباً قلب القصة وتحمل فيها الكثير من التعقيدات. 2. الشخصيات الثانوية: - تدعم الشخصيات الرئيسية وتساهم في تطوير الحبكة. - يمكن أن تكون صديقاً أو أحد أفراد العائلة أو حتى خصماً. - قد تكشف الشخصيات الثانوية عن جوانب جديدة من الشخصيات الرئيسية. 3. الشخصيات النامية: - تخترق الشخصيات النامية التغيير والتطور على مدى تطور الرواية. - قد تتأثر بالأحداث وتتغير نتيجة للتجارب التي تمرّ بها. - يمكن أن تكون مفاجئة للقارئ نظراً لتطورها المستمر. 4. الشخصيات الثابتة: - تحتفظ بخصائصها وسلوكها دون تغيير كبير. - لا يتأثر تطور القصة بشكل كبير بتحركاتها. - تستخدم في بعض الأحيان لتحديد الثوابت والتوازن في القصة. 5. الشخصيات المدورة: - تتعرض لتغيرات كبيرة وتطور عميق في سياق الرواية. - قد تمر برحلة شخصية تحدث تحولات هامة في طبيعتها. - تجذب انتباه القارئ من خلال التعقيد والتطور. 6. الشخصيات المسطحة: - تحتفظ بسمات ثابتة دون تغيير كبير. - غالباً ما تستخدم لتحديد نقاط معينة في الحبكة دون التركيز على تطويرها. - تقدم بشكل أكثر بساطة وقد تكون تكميلية للشخصيات الرئيسية.» (رحالي، سهام و كراري ايمان، 2020 : 13 - 20)

هذا وهناك عوامل تساهم بالفعل في تكوين الشخصيات ثقافياً واجتماعياً وكذلك العوامل الذاتية، وبشكل عام يمكن تحديد هذه العوامل في المكونات الآتية:

«1. عوامل ثقافية واجتماعية: عندما تتأثر شخصية الفرد بالمجتمع الذي يعيش فيه وخاصة المجموعات الأولية والحالة الاجتماعية. 2. عوامل بيولوجية في الفرد يكتسبها من الوراثة: يؤثر التركيب الجسدي للفرد على شخصيته وعلاقاته الاجتماعية وعلى سلوكه. 3. عوامل شخصية: مثل الذكاء والقدرة على الاستجابة للأفكار والكلمات والتكيف الاجتماعي.» (وصفي، 1981: 105).

ولا تقوتنا الإشارة أن هذه العوامل قد تنصهر في بوتقة «الحديث الروائي» وتأخذ منحى مختلف يتساق أولاً يتساق مع ما جبلت الشخصيات الروائية عليها، فالحديث في مختلف مظاهر ومنحنياته يؤثر

تأثيراً مباشراً على نمط الشخصية. إن أسماء الشخصيات الروائية تمثل «علامة سيميائية تتحدد دلالاتها ومقاصدها عبر السياقات النصية والذهنية وذلك ضمن علاقات نصية نبوية تمييزية للشخصية داخل المسار السردي والحكائي». (هامون، 1990: 23).

الشخصيات في رواية القمر والأسوار

فيما يتعلق بالملح العام لشخصيات الروائي عبد الرحمن الربيعي يمكن القول أنه: «ربما تكون شخصيات الروائي من أكثر الروائيين العرب قرباً من شخوص الواقع الحي وتمثيلاً لهم وهو على وعي تام بهذه الحقيقة التي تشكل لديه رؤية كتابية مخصصة اشتغل عليها في جل رواياته» (الياسري، 2013: موقع كتابات). ويضاف إلى ذلك القول بأن «شخصيات هؤلاء القصصيين معبرة عن تلك الحقيقة بوعي تاريخي صادق استطاع القاص أن يمنحه لأبطاله عن طريق المزوجة الفنية بين عالم المدينة وعالم القرية الذي أخذ بالتقارب شيئاً فشيئاً». هذا فإن أول ما يلفت النظر في شخصيات هذه الرواية أو ما يتعلق بهذه الشخصيات هو الفضاء النصي الذي يؤدي بدوره دور الشخصية الأبرز في هذا العمل الروائي وآية ذلك أن لهذا الفضاء المرسوم من قبل السارد دور فاعل في تنشيط السرد وكذلك في تعميق الرؤية وتدعيم الدلالة فيما يعود إلى الشخوص والأبطال وكشف ما في دواخلهم من رؤى وتصورات نحو الظواهر المقصود بالتناول والمعالجة الروائية تلك التي تتمثل في الثقافة والاجتماع، ولاغرو أن أحد مكونات الفضاء النصي وهو المكان تحديداً «يقوم في الابداع الأدبي بدور مهم في الكشف عن أبعاد الرؤية على المستوى الرؤيوي والجمالي في آن واحد ويمدّد سياقات متعددة تحكم الحركة النصية في الخطاب عموماً وإذا كان هذا المكان قد شكل في الدراسات السردية [مثل] القصة والمسرحية والسيرة و... مساحة كبيرة بوصفه يمتلك قدرة التماسك البنيوي للنص السردية، حتى إنه يقوم بدور البطل في بعض الأعمال، فإنه في الابداع الشعري يكتسب المكانة نفسها» (هلال، 2010: ص 13).

فالفضاء النصي في الرواية التي نعالجها للكشف عن الملامح الثقافية والاجتماعية للشخصيات يساهم ساهماً حاداً في سياق هذا الكشف ومن ثم فهم دلالات تلك الملامح وتوصيفها وتحليلها فنقدها وذلك لأن المكان باعتباره المكون الأساسي للفضاء النصي يشكل جزءاً أساسياً من بيئة الرواية ولا تفسر الشخصيات في سلوكياتها ومواقفها وتصرفاتها إلا بآثر من المكان بوجه خاص والبيئة المحيطة بوجه عام. فالمكان الذي تجري فيه معظم أحداث الرواية هو هامش مدينة تشهد في الخمسينات والستينات تطوراً عمرانياً بحيث هجر إليها بعض أهل القرى وسكان الصحارى المحيطة بحثاً عن عيش يخلو من متاعب تجشموها وهم في أوطانهم المتخلفة واللهاث وراء حياة يحسبون أنها تغدق عليهم عيشاً رغياً يحملون بها إلا أن هذا الهامش الذي يشهد فقر سكانه جعل منهم شخوصاً تصدر عنهم سلوكيات ومواقف على المستويات الاجتماعية والسياسية حيث تسور على هذا الفضاء أو البيئة عادات وتقاليد عشائرية تصنع من العائشين بين ظهرانيهم تفسر مواقفهم في ضوء مثل هذا الفضاء أو هذه البيئة التي تحولت إلى ظاهرة توجه كل صغيرة وكبيرة من تصرفات الشخوص مثلما نجد في:

1. شخصية الشيخ على: تمثل هذه الشخصية في رواية القمر والأسوار الوجه الديني المحترم لا عند أهل الزقاق الذي يسكنه بل عند كل من يعرفه «وكان الشيخ على يحظى باحترام نادر وعندما يمرّ الزقاق متمهلاً في مشيته ومتمتماً باسماء الله يفسح العابرون له الطريق بعد أن يحيونه بأرق الكلمات». (الربيعي، 1976: ص 31). أما عن حياته الماضية فقد عاش في صباه في فقر و شقاء وهو في قرينه لينضم إلى المدينة «ص 23» «عمل قارئاً للبحث في شارع (الهواء) يقترش حصيرة على الرصيف في المنطقة المجاورة للسوق ويستقبل الزبائن وكانت النساء عادة يضعن البرقع على وجوههن ويتلفعن بعباءتهن السوداء حتى لا يعرفهن العابرون، فذاع صيته وبدأ الناس يتحدثون عن مهارته وقدرته على كشف الطالع فوسع دائرة عمله واستأجر دكاناً للإلتقاء بزبائنه». (الربيعي، 1976: 24). لا فقط هذا وإنما يساهم في مساعدة جيرانه ومن يعرفه في حل مشاكلهم التي تتوزع على الاجتماعية والسياسية وحتى اقتصادية فقد صار مرة واسطة خير حيث اقنع عشيرة جاره حميد أن يسمحوا له لتزويج بنته من أحد الغرباء المقيمين في المدينة فسافر إليهم أن يقبلوا بذلك أما ثقافياً فكان بيت خاصة في ليالي الصيف

«تضم العديد من رجال الزقاق حضروا ليستمعوا إليه وهو يحدثهم أحاديث غريبة عن البصرة وإيران وعن العرب والفرس والأنس والجانب كما يحدثهم عن السياسة والسياسيين والاستعمار والوطنية والانجليز والألمان فكانوا يصنعون إليه بانتباه طالبين الاستزادة» (الربيعي، 1976: 31).

أما السارد فقد أبرز دور شخصية شيخ على باعتبار أنه مكون إنساني لاصق بصميم مجتمعات تقليدية تحكمها المنازع الدينية فقد يجد أبناء مثل هذه المجتمعات في رجل الدين مرشداً ومنقذاً ومساعداً وبدونه يعيشون حياة خواء وفراغ، فشخصية كهذه تشكل الجانب النفسي والشعوري لدى قومه ويبرز ذكاء الراوي وينجلي حتى في اختيار اسماء ابطاله فاسم «على» له دلالاته الثقافية المعروفة خاصة عند طائفة الشيعة حيث إن الإمام على (عليه السلام) يضرب به المثل في العدالة وإعطاء كل ذي حق حقه و في التعامل مع أهل مملكته بالقسط والصرامة في تنفيذ العدالة. وعلى العموم فإن هذه الشخصية وغيرها من الشخصيات هي «ذات بناء واقعي مركب تتملك مصداقيتها في مشابقتها للبشر الحقيقيين في أشكالهم وطبائعهم وأقوالهم وأفعالهم». (عطاء نعيسه، 2001: ص 24).

وقفة تساؤلية نقدية: إن من الأمور التي يستوجب أن يركز عليه الناقد الروائي في تناوله للنص هي التناسب الذي من المفترض أن يكون قائماً بين الشخصيات والأصوات «فقد تتعدد الأصوات بتعدد الشخصيات وكثيراً ما تكون هذه الشخصيات من بيانات مختلفة مما يؤثر على طابع اللغة، فنجد أنفسنا أمام تنوع لغوي، حيث الشخصية القروية تتحدث بلغتها الخاصة والشخصية المدنية تتحدث أيضاً بلغتها الخاصة والشخصية الأرستقراطية لها لغتها كما للشخصية الفلاحية لغتها أيضاً وهكذا دواليك». (كحوش، 2008: 287). ومن خلال مراجعة هذه الرواية (القمر والأسوار) نتبين إلى حد بعيد أن السارد قد وفق في توفير هذا التناسب الصوتي أو اللغوي بين الشخصيات وما يصدر عن السنتهم من حوارات داخلية أو خارجية مما يسمح لنا أن نعتبر هذا التوفيق ميزة تضاف إلى رصيده في هذا المنجز الروائي. اجمالاً فإن خطاب «الكاتب وسارديه والأجناس التعبيرية المتخللة وأقوال الشحوص ما هي إلا الوحدات التأليفية الأساس التي يتيح للتعدد اللساني الدخول إلى الرواية» (باختين، 1987: 33).

شخصية عاشقين: و لأن للمراهقين عالمهم الرومانسي و خيالاتهم الخصبة المليئة بالاثارة و الرغبة في القران و الزواج بدوافع انفعالية عابرة و يراودهم فكرة الزواج مهما كانت الظروف الحافة بهم من فقر و عز و تعاسة أو من رخاء وسعة. فأن الروائي خصص مساحة خاصة لتهويماتهم و خيالاتهم، ما تلك التي يعانى منها المراهقون في هذه المرحلة العمرية و هو نوع من الحب الذي يعرف بالهوس و إنه يصيب الفتيات أكثر من الصبيان، ثم إن علاقة الحب بين هذه الفئة العمرية تشهد تراجعاً كبيراً على مستوى المدرسية و شروداً ذهنياً مستمراً كما نلاحظ في العلاقة الهوسية المتبادلة بين مراهقين هما «عباس» و «نهلة»، و تتبلور هذه العلاقة في مشهد حوارى بينهما يرسمه الكاتب كاشفاً عن بعض دواخلهم النفسية: «خلا الشارع العريض من المارة تقريباً ولكن في الفسحة الكبيرة المواجهة للمستشفى تجمع عدد كبير من العمال ليفرغوا السيارات المحملة بالطابوق... انبتت نهلة لما يفعلونه و سألتها:

- ماذا يريدون أن يبنوا؟
- يقول هاتف إنهم يبنون بيوتاً و يوزعونها على الموظفين.
- و هل سيعطونك واحداً إذا أصبحت موظفاً؟
- وانتشي عباس من سؤالها و أعلن بذهو: نعم! و فيه كهرباء و سقفه قوى لن تتسرب منه قطرة.
- والدى سيبنى لنا غرفة من الطابوق بعد أن بنى واجهة البيت.
- هل أنتم أغنياء؟
- كلاً! ولكن أمي تجمع محصول الخياطة.

و علق عباس بمرارة: ولكن والدي فقير، و فوق ذلك أمي مريضة و يحتاج علاجها إلى دنانير كثيرة.

و سألته بطفولة: و لماذا هي مريضة؟

- لا أدري إنها مريضة منذ سنوات و لم تقد معها الأدوية، لذا قال والدي لندع أمرها إلى الله»(الربيعي، 1976:164)

و بهذا استطاع الراوي العليم أن يرسم بدقة الأوضاع النفسية للمتحابين، و ليس ذلك بدعاً فحب المراهقة يعد جزءاً طبيعياً من تطور الشخصية و النمو العاطفي لذلك يؤثر على طريقة تفكيرهما و كيفية ترسيمهما لحظة حياة مستقبلية التي تتمتع بقدر من الرفاهية العصرية المتمثلة انداك في توصيل الكهرباء و بناء السقوف القوية ثم ينتقلان إلى الحديث عن ظروف معيشية و عائلية لا بد من توفرها لتكوين أسرة عادية و لا يخفى ما وراء الحوار الدائر بين المتحابين من عواطف ممزوجة بمشاعر ملتهبة بالاندفاع و الشغف وجيشان العاطفة.

و ندهما بعد ذلك يتخيلان حياتهما الزوجية الآتية بأريحية وانبساط و أمل و بساطة فيقول عباس:» عندما انتهى من المتوسطة في السنة القادمة سألتحق بدار المعلمين في بغداد.

و فغرت فمها: لكنها بعيدة جداً

- ليلة واحدة في القطار و أصل و هناك أسكن في القسم الداخلي و بعد أن اتخرج اعود إلى الناصرية و اطلب من والدي أن يخطبك لي و سنبنى لنا بيتاً في الجهة الأخرى من النهر و نخرج من محلتنا.

و امتلأ صدرها بالفرح و هي تسأله: هل أنت صادق؟

و أكد لها و هو يهز رأسه قائلاً: والله العظيم»(الربيعي، 1976:165)

فقد فتحا حساباً للمستقبل دون أن يعرفا ماذا سيحصل لهما و للعالم التي يعيشون بها، فالنفوس الصيبانية غير الناضجة لم تعد تدرك ماذا ستأتي لهم الأيام لذلك ينصدمان حين تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن و هذا هو شأن الدنيا.

شخصية الشيخ حسن: تمثل هذه الشخصية داعية إسلامياً أوفد من أعرق مؤسسة دينية في العراق و هي حوزة النجف الأشرف، حيث يأتي بالناس و يلقي عليهم الخطب الدينية تتضمن النصائح و التوجيهات و الارشادات كما يحث المومنين على المساهمة في عمل الخيرات و المبررات و رفع المشاكل التي يقايسها الناس، إذن نجد في هذه الشخصية انموذجاً مهذباً في مجتمع لا يخلو من التناقضات، ففي أحد الأيام يدعو المصلين إثر انتهاء خطبة الجمعة إلى بناء مسجد في المدينة» بعد انتهاء صلاة الجمعة، خطب الشيخ حسن و تركزت خطبته حول الدعوة إلى بناء بيوت الله و الاكثار منها و جاء بأحاديث و أقوال للرسول و الصحابة عن ذلك، و ضرب مثلاً بأسماء رجال عديدين شيدوا مساجد من ما لهم الخاص فقط دون معونة من أحد و قال: هؤلاء ضمنوا لهم الجنة فهنيئاً لهم بها»(الربيعي، 1976:180)

الآ أن هناك دائماً اسئلة مطروحة تراود عقول كثيرين عن قضايا عقدية و دينية و تجعلهم يتسائلون عن أسباب و فلسفات تكمن وراء مساهمات الخيرين و دوافعهم الاجتماعية و النفسية في عمل المبررات مثلاً نلاحظ في الحوار الذي جرى بين اثنين من المصلين:» و همس رجل إلى زميله الذي لم ينقطع سعاله منذ لحظة جلوسهما: الله سبحانه و تعالى أعطاهم مالاً كثيراً، أما أنا فلا أجد ما يسد قوت عيالي. و عقب الرجل على قوله هامساً: هؤلاء يحبهم الله فأعطاهم، أما نحن فيبدو أنه لا يحبنا.

- و لماذا لا يحبنا؟ ماذا صنعنا له؟ لم اترك الصوم و لا الصلاة حتى في مرضي وسفري و هو يعرف جيداً ما في قلبي.

و همس لهما رجل كان يجلس وراءهما: اتركنا حديثكما حتى ينتهي الشيخ من خطبته. (الرابعي، 1976:180)

و في نفس المجلس و إثر انتهاء الصلاة و جمع التبرعات لبناء بيت للعبادة انتقل الحديث بين رجلين آخرين عن ظاهرة اجتماعية مرضية تفتت أوبتها فترة في المكان ذاته أو في إحدى الأحياء القريبة، انها بيوت سيئة السمعة التي أمر الشيخ حسن بهدمها، فهذان الشخصان يتحدثان عن هذه القضية و يبديان انطباعهما عنها و عن تبعاتها التي تضر بالمجتمع التقليدي المحافظ: «همس أحد الجالسين إلى صاحبه بأسف: لافائدة... هدم الشيخ حسن بيوتهن هنا فظهرن في بيوت أخرى على مشارف المدينة و بحماية الشرطة و أولادنا يذهبون إليهن.

و علق جليسه على قوله: إنهن طاعون لا شفاء منه.

- و ماذا نفعل؟

وردد بحكمة: المهم أن نحافظ على بناتنا و أولادنا؛ إنهن بعيدات عن بيوت الأشراف و قد شيد هذا المسجد الشريف ليظهر المكان... الله ينصر الشيخ حسن.

و تساءل: ما رأيك في أن نخبر الشيخ حسن بذلك.

- إنه يعرف ذلك.

- و ماذا قال؟

- لم يقل شيئاً.

- لماذا لا نطلب منه أن نهجم عليهن و نحرق بيوتهن و نرجمهن بالحجارة!

- سيرموننا في السجن.

- مرحباً بالسجن إذا كان دفاعاً عن الإسلام.

- محمد صلى الله عليه و سلم بكل عظمته و قوته لم يستطع اصلاح كل الناس، أتريد من الشيخ حسن أن يفعل ذلك وحده. (الرابعي، 1976:182)

فمثل هذه الأسئلة تبادر أذهان غير نفر من الناس حتى المعتقدين منهم لا عن هذه الظاهرة فحسب و أنما عن عديد من الظواهر التي تتأرجح المواقف الاجتماعية تجاهها.

شخصية محسن: ترتبط هذه الشخصية التي طرأت على أحداث القصة بظروف سياسية قاسية كانت تمرّ بها العراق في نهاية الأربعينيات و بداية الخمسينيات حيث كانت البلاد تقور بالمظاهرات و الانقلابات و تحولات ساخنة أثرت على النواحي الاجتماعية و النفسية بشكل جعل الشغب في حالة فوضى و البلد في وضع غير مستقر.

أما الكاتب و من خلال طريقة تمثيلية نحى نفسه جانباً تاركاً الشخصيات التي عاشت تلك الأوضاع تكشف عن توجهاتهم و طموحاتهم خلال ما يقومون به من تصرفات و ما يتبادلونها من أحاديث و اعترافات يبوحون بها و يتفون عنها أو انطلاقاً من مواقفهم المتضاربة من تلك الظروف و الأوضاع الساخنة الصادمة، و قد يعمد الروائي إلى توضيح صفات و أمزجة و تصورات هذه الشخصيات اما عن طريق اعترافاتهم و إما عن طريق احاديث الشخصيات الأخرى عنهم.

و من شواهد هذه المواقف و الأحداث التي يتم من خلالها عن الكشف عن دواخل الشخصيات و سلوكياتهم السياسية و الاجتماعية ما نجده في مشاهد متعددة من الرواية مثل ما نجد في مشهد تم فيه استعراض شخصية محسن الحلاق الذي لبث فترة في السجن و افرج عنه إثر العفو عنه، و هذا

الاستعراض يتمثل في حوار جرى بين محسن و الشيخ علي، كما نلاحظ في فقرات الاتية حيث يخاطب الشيخ صاحبه محسن و هو يحلق رأسه:

«- والله لم اعرف إنهم أطلقوا سراحك إلا قبل يومين و الواجب كان أن أزورك في السجن.

- الله يحفظك يا شيخ علي، أنت صديق مخلص.

ثم رَمَّ شفّتيه بقوة قبل أن يقول في مرارة: لم اهتم للسجن، لكن الأولاد لم يغيبوا عن بالي لحظة واحدة والهواجس لا تنقطع بشأنهم. وضرب بيده زافراً بأسف، ثم تابع:

- على أية حال السجن أهون من الموت. لقد قتل أحد مرشحي حزبنا في الصويرة؛ أمّا أنا فسالم كما تراني، انها حكومة لعينة و أسيادها يعرفون كيف يتصرفون، جاؤوا بتوفيق السويدي و أوهمنا باجازة الأحزاب و جاء بعده أرشد العمرى ليضطهد هذه الأحزاب و يحدث الشغب في البلاد التظاهرات والقتلى في بغداد و كركوك و في كل مكان»(الربيعي، 1976:151)

و لأن الاجواء السياسية المتردية و المشعبة بالمطاردة و القمع مازالت قائمة تتعقب النشطاء في كل مكان، يدى محسن أن يراقب كل حالة مستفزة و غير عادية التي تجري في المدينة و بالطبع بالمناطق التي عرفت بحضور المعارضين، لذلك يخاطب الشيخ علي فيقول له:

«أخاف عليك من عيون المخبّرين فمأز الو يترصّدون الداخلين إلى دكاني وضحك الشيخ علي قائلاً: إنني رجل عجوز و بعيد عن عيونهم.

- انهم لا يميزون، و لو ترك الأمر لهم لسجنوا حتى الطفل الرضيع... .

و بعد برهة صمت عاد إلى حديثه الأول فقال: جاؤوا بصالح جبر ليووقع معاهدة «بورتسموت» و ليعيد ربط العراق ببريطانيا و لكن الشعب يا شيخ علي لم يرتض بهذه المعاهدة و تصدى لها و حزبنا لعب دوره في مقاومتها»(الربيعي، 1976:152)

هنا رسم الروائي دائرة معاناة أوسع عن طريق حديث أجراه عن لسان محسن و تلك هي معاناة فلسطين، قضية العرب المركزية حينما قال محسن مقارنة بين الحالة العراقية و حالة الفلسطينية: «فلسطين باعوها و العراق يريدون بيعه و سيفعلون محل ما يريد أسيادهم»(المصدر نفسه)

الشخصيات النسوية

«يحدّد الواقع الثقافي والبيولوجي والاجتماعي والفلسفي أنماطاً متعددة من أنماط الشخصيات على الصعيد الثقافي ولأننا أمام فعل ثقافي وحركة سردية تتجاوز المعايير الأخرى خارج النص قدر تمثّلها في النص، فإنّ التعامل مع فعلى الذكورة والأنوثة تتم على وفق ما تحمله من سمات تمثّل الواقع لكل من الشخصيات هذه وواقعها المنعكس على التفاصيل الأخرى الخاصة بالحياة والسلوك والمجتمع ومدى أثر وجودها الفعلي الجنسي الخاص بجنسها وتمثيلها له» (جعفر سليم، 2013: 66). لا تخرج مواقف وتصرفات الشخصيات النسوية عن الدائرة المرسومة لهن في المجتمعات التقليدية الملتزمة بقوة بأعرافها وتقاليدّها تماماً كمثيلاتهن الغربية في مراحل تاريخية معينة، حيث الجنس النسوى لم يزل خاضع لسلطه الرجل المطلقة في تلك المجتمعات وفي المجتمعات العربية إذ لم تنل بعد خاصة في المرحلة التي كتب عنها الروائي الربيعي حظها من الحريات والحقوق التي عهدناها منهن ولو بشكل غير شامل في العقود التالية حيث دخلن سلك التعليم في مختلف مراحلها.

ومن خلال نظرة عامة فإنّ «الثقافة الغربية هي ثقافة الذكر (الأب) أي ثقافة تتمركز على الذكر الذي يحكمها ولذلك فهي تنتظم بطريقة تهيّء هيمنة الرجل ودونية المرأة في كافة مناحي الحياة ومفاهيمها (الدينية والعائلية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية التشريعية والفنية الأدبية) وهذه الهيمنة الذكورية أفضت بالأنثى إلى تبني هذه البنية الإيديولوجية وأصبحت تجسدها في حياتها وفكرها،

حتى أصبحت كالرجل ترى دونية نفسها كبدهية مطلقة». (الرويلي، ميجان، سعد البازعي، 2007: 330). علماً أن الثقافة العربية تماثل هذه الحالة المتفشية في المجتمع الغربي.

وفي عوده إلى الشخصيات النسوية في «القمر والأسوار» فإنهن يتميزن بكونهنّ. يعملن عمل الخادمت لا أكثر ولا أقل. وأبرز شاهد بينهن شخصية «حسنة» زوجة «حميد» التي أصيبت منذ فترة غير قصيرة بمرض عضال أنهكها فأقعدها عن القيام بواجباتها البيئية، فقد ظلت تقاسى المرض منذ حملها زوجها من القرية إلى مدينة الناصرية وقد رسم الروائي هينتها الجسدية وحالتها الصحية مشعراً إياهما بقوله: «كانت حسنة سمرأ ناعمة جفّ لحمها ولم يبق من جسدها غير هيكل صغير شاحب، حدث لها ذلك بعد أن أصيبت بنزلة صدرية منذ سنوات وكانت في رحلة من قريتها (ابوهارون) الواقعة في منتصف الطريق بين الشطرة والرفاعي وعلى الضفة اليسرى من نهر الغراف، وقد مكثت في مستشفى المدينة ثلاثة أسابيع خرجت بعدها وقد انتزع المرض منها علامات الشباب والبهاء وتركها هكذا ضامرة لا تقوى على أداء عمل» (الربيعي، 1976: 10). ويجد عزيز في موت «حسنة» بسبب مرضها صورة كافية لإدانة الواقع في الريف بل يعتبره شهيدة للظلم والاستغلال الطبقي عامة. ذلك لأن المعاملة التعسفية مع مختلف الشرائح الاجتماعية من قبل السلطات الغاشمة تؤدي إلى مثل هذه النهاية المؤسفة.

«ترتبط الشخصية بالمكان في العمل الروائي عبر ثنائية التناظر و الانتماء من خلال المكان الذي تتحرك فيه و هذه العلاقة بينهما قد تكون علاقة تشعر فيها الذات بالانتماء أو علاقة النفور و الرفض و عندما تهمين روابط الانتماء و الانسجام تجعل الذات متوافقة مع الحيز المكاني الذي تدور فيه؛ كونها من الأماكن التي تختار فيه الإقامة دون تدخل الآخرين في حين يجعل الذات تعيش حالة الغربة و الانطواء عندما تشعر بالتناظر مع المكان و يتجلي في تلك العلاقة الانسلاخ الشعوري عن المكان كونها من الأماكن الإجبارية التي يفرضها الواقع الاستبدادي أو غيره على الأفراد ليختاروا المنفى على البقاء في الوطن» (سلگي، روشنفكر، ميرزائي، 2023 : 8).

واللافت في اتجاه الروائي أنه ينجح إلى نوع من التعاطف مع الشخصيات عامة في توجهاتهم النفسية وقد يندمج معهم بل يحن إليهم ونلمس ذلك من طريقه سردها عند وصفه تصرفاتهم أو مواقفهم من قضايا الحياة والمجتمع مثلاً وجدنا في عرضه لحالة زوجة حميد وتركيزه على حالتها المرضية إذ هي تعاني عاهة قد تؤدي في كل لحظة بحياتها وهذه الحالة وهي حالة امرأة تشرف على الموت ومفارقة الدنيا جعلت السارد يصفها وصفاً يوحى بمثل الاندماج والتعاطف والحنان أحياناً نحوها ومثل ذلك ما نجد عند وصفه للحب الطاهر الذي بين عزيز ونهلة وقد أضمر كرهاً لمن يكدر أجواء المحبين بحجج تعود إلى ما يسمى بحفظ ماء الوجه والتقاليد العشائرية الصارمة بهذا الشأن، ونفس الموقف يبرز عند الروائي عند حديثه عن شخصية «جبار» الشخصية التي كانت تعاطى الخمر وكان طويلاً وضخماً له رأس اكرت الشعر وقد غزاه الشيب حتى ابيض كلّه تقريباً وقد اعتدى مرة وهو سكران على «زكية» العجوز وصار بسبب ذلك ضجة لو لا الشيخ على وحكمته لتوسعت وأثارت ما أثارت من نزاع دام، إلا أنّ الروائي وعلى لسان زوجة جبار هذا يقول: «أته [أي جبار] انسان طيب تحملني ولا يطلقني عندما عرف بأنني عاقر وقال هذه قسمة ويجب أن نتقبل حظنا ولو كان غيره لطردي شر طردة وتزوج غيري منذ سنوات» (الربيعي، 1976: 42).

وهكذا يصنع الروائي جبار في موضع عطفه مع كل عربته واعتدائه على حرمان الناس ومع كل طيشه وخفة حلمه هذا التوجه الروحي نحو الشخصيات سواء أكانوا إيجابيين أم سلبيين له مثلات عديدة في رواية القمر والأسوار، مثلاً نجد أيضاً لدى شخصية الشاب «هاتف» الذي أبرز الروائي موقفه الصدامي مع السلطة فضلاً عن التلميح بانحيازه لقوى التغيير الثوري في الريف وهذا ما حدانا إلى الاعتقاد بأن مواقف الصمود والتحدى كما ظهرت لدى القاص كانت سمة ثابتة لشخصيات الرواية الحديثة له نشاطات سياسية تعرضه للخطر، وقد عرض الروائي لأفكاره ثم انغمس في دواخله وأحاديثه النفسية أو مونولوجاته ليندمج معه وكذلك في حواراته الخارجية ومنها ما جرى بينه وبين الشيخ على حين وجّه هذا الأخير نصحه إليه محذراً إياه في التورط في النشاطات السياسية المعارضة «... ولكن عليك أن

تتمادى وأن تحسب لعائلتك حساباً» (الربيعي، 1976: 127) ويرد عليه هاتف: «يجب أن ننّبّه أهلنا للحالة التي هم فيها وإذا أرادوا أن يعتقلوني فليست أفضل من أولئك الذين تمتليء بهم سجون العراق» (المصدر نفسه).

وعلى الإجمال فإنّ النقاد انتبهوا مبكراً لهذا النوع من التعامل الوجداني من قبل السارد قبل السارد نحو أبطال القصة في الروايات ذات المنزع الواقعي مثلما نجد عند الروائي التركي الفائز بجائزة نوبل «أورهان باموق» حينما يقول: «أبذل قصارى جهدي للإندماج مع أبطالي سواء كانوا يشبهوني أم لا وشيئاً وشيئاً استطيع أن افهم العلم من خلالهم، إنّ المحك في الأسلوب الروائي ليس الهوية أو شخصيات الأبطال، لكن قبل هذا كيف يظهر الكون لهم داخل الرواية إذا أردنا فهم شخص ما وتقديم تصور أخلاقي عنه، يجب علينا معرفة كيف يبدوا العالم من وجهة نظر هذا الشخص، الابداع الروائي هو خدعة تمكننا من الحديث عن أنفسنا وكأننا شخص آخر وعن الآخرين، كما لو كنّا مكانهم وبمجرد وجود حدود نستطيع من خلالها الحديث عن أنفسنا كأنه شخص آخر» (باموق، 2015: 179).

صراعات الشخصيات

يكاد يتفق النقاد أنّ الصراع في القصة عنصرٌ أساس يسرب في مسام العمل الروائي فيضغى عليه حيوية إذ هو مصدر التشويق الرئيس. أمّا بخصوص مفهوم الصراع نفسه فإنّه في أبسط تعاريفه نوعٌ من التحدي أو النضال أو العوائق التي يجب على الشخصيات التغلب عليها وإنّه جزء مهمّ من أيّ قصة حيث إنّ ضروريّ لجعل القصة تستمر نحو هدف نهائيّ، ثمّ هناك عدّة أنواع من الصراع في الأدب القصصي إلّا أنّها تقع جميعها في واحد من فئتين: الصراع الداخلي والصراع الخارجي والفارق بينهما أنّ الصراع الداخلي يحصل عندما تكافح الشخصية مع شيء ما داخل نفسها مثل المشاعر والرغبات والمعتقدات والتقاليد وأمّا الصراع الخارجي يتحقق عندما تكافح الشخصية مع شيء خارج عن نفسها الداخلية مثل السلطة أو المرض أو الشخصيات الأخرى وما إليها.

وفي رواية القمر والأسوار نجد نماذج واضحة من هذه النمطين من الصّراع ومن جملتها ما نجده في علاقة حبّ بين «نهلة» ابنة «هادي» التي «بدأت تميل إلى عباس، ترسل له دفاتر الحساب ليحل المسائل أو تطلب منه أن يكتب لها موضوعاً في الانشاء وقد استقبل عباس طلباتها بحبور» (الربيعي، 1976: 121) وقد تطورت هذه العلاقة العاطفية البريئة إلى جد كادت تبلغ حد العلاقة الجسدية إلّا أنّ البيت لم يكن يسمح لهما بممارسة هذه العلاقة فهناك غرفة وحيدة في بيت والدها تشغلها أمّها مع زبونها وعندما اقترحت مكاناً ضيقاً في زاوية البيت، انسحب عباس خائفاً وهكذا واجه المحبّان موقفاً صعباً طالما واجهه المحبون والعشاق الفقراء ليكونوا على راحتهم ممارسة علاقاتهم وهذا ما سبّب صدامهم مع واقع الفقر المدقع وكيف أنّ ظروف الحياة التعيسة تمنعهم عمّا تنزع إليه نفوسهم ممّا أوجد في دواخلهم حالة اليأس والاحباط فالظرف الاقتصادي هو العائق المهم في مثل هذه المواقف ولا يمكن العبور منها إلّا بزوال الفقر والتوفر على حياة تمنحهم الحرية في ممارسة ما يورونه.

وحصل معهما المشكلة ذاتها حين تلصص يوماً عليها من كوة الجدار الفاصل بين داره ودارها وهو واقف لصق الجدار الطيني في زاوية باحة الدار «وعندما خرجت أمّه من غرفتها وجدته منهما في النظر من الشقوق فصاحت به: - ماذا تفعل! ألا تستحي!

وقف مرتبكاً لا يسعفه الرّد

- لماذا تتكلم؟

- لديهم دجاجات جميلات

والتقطت حجرة رمتها بها وهي تصرخ بجهد:

أهلك لا يتجسّسون على بيوت الاشراف ... من أين جئت أنت!

وارتصف على الحائط متمللاً:

والله لم أفعل يا أمي ... والله! (المصدر السابق: 134) فقد تمثل الصراع في هذا المشهد العابر في مواجهة الشخصية تقليداً داهمه على حين غرة حينما اتهمته والدته بالتجسس على عورات الناس، وهنا وجد الولد نفسه في موقف صعب لم يجد سببه سوى الكذب تملصاً من وقفته المخجلة

وواجه المحبان عائناً آخر هو صداقة الآباء مع الاولاد في مثل هذه الامور التي تمس شرف العوائل التي تبدى حساسية بالغة تجاه قضايا كهذه والقصة هي أنّ حميد والد عباس اطلع على امير ولده حينما اخبروه أنّ عباس شوهد ومعه فهلة وهما يتماشيان باتجاه ثكنة الشرطة المواجهة لبستان زامل ويستغرفان في احاديث عن حياتهما المستقبلية وعن الزواج- إذا سمحت التقاليد السائد - حيث تقضى بزواج الاقارب دون الغرباء.

أما الطامة الكبرى فكانت في المنزل «عندما حضر حميد ومدّت سفرة الطعام تجمعوا حولها وبدأوا يأكلون وكان حميد ينظر لعباس بطرف عينه بين فترة وأخرى محاولاً أن يكبح ما يعتمل في داخله وبعد أن فرغوا من تناول طعامهم الفجر غضب حميد فجأة وأمسك بأذن عباس وهو يسأله:

- مع من كنت اليوم؟ أجب مع من كنت؟

وانتخب عباس من شدة الالم بينما تدخلت حسنة صارخة

- ماذا فعل؟

- لا تتدخل أنت

ثم التفت إليه من جديد وصوته ترجف من الغضب

- مع نهله؟ أليس كذلك؟ رأوك معها قرب بستان زامل، ماذا كنتم تفعلان هناك؟» (المصدر السابق، 1976: 170).

فالسد المنيع الذي لا يمكن تخطيه هو مثل هذه العلاقة التي يبدي النظام تجاهه شعوراً ممزجاً بالغيرة البالغة قد تنتهي إلى ما لا يحمد عقباه فقد كانت العرب يعدون المرأة ذروة شرفهم وعنوان عرضهم ولذلك فقد تفننوا في حمايتها والمحافظة عليها.

تاريخياً فإنّه «لم يكن شيء يثير القوم كالاعتداء على نسائهم أو المساس بهنّ ولذلك كانوا يتجشّمون في الدفاع عنهنّ كل صعب ولا يضنّون بأيّ غال، لقد كانت الغيرة تولد مع القوم وكأنيهم رضعوها فعلاً مع لبان الأمّهات». (صيام، 1982: 350).

خاتمة البحث

يمكننا أن نستخلص من خلال هذه الرؤية العامة الفاحصة نحو الشخصيات القصصية في مختلف انماطها وإثر الالمام بجوانب اجتماعية ونفسية لسلوكيات وتصرفات الأبطال والتي تم استلالها من طيات هذا السرد الروائي التقليدي (القمر والاسوار) أنّ هناك توظيفاً حاذقاً لتوصيفات متلاحمة عرضها الكاتب لأولئك الشخصيات في مختلف أعمارهم وأجناسهم وتوجهاتهم، أمّا اجتماعياً فيمكن رصد الواقع المعاش لأناس عاشوا فترة تاريخية ساخنة حافلة بوقائع سياسية وأخرى مجتمعية تمثلت في الانتقال من الحياة الاقطاعية إلى الحياة الشبيهة المدنية من دون أن تبرح همومها ومشاكلها عن حياة وعقول الشخصيات أنفسهم وكذلك عن السلطة السياسية التي كانت ولا زالت تنظر إلى هؤلاء النازحين من الأرياف نظرة استعلائية وكأنيهم مواطنين من الدرجة الثانية أو كأنيهم يستحقون التهميش فلا قيمة لهم اجتماعياً، بيد أنّ هؤلاء الشخصيات أبدت أحاسيسها الفياضة ومشاعرهما الطيبة تجاه الأمور سواء تلك العائدة إلى الوقائع والاحداث المحلية أو تلك المتعلقة بالتطورات السياسية التي جرت عليهم بل ألقت ثقلها على حياتهم

التعبية إذ كانت تفقد أدنى مقومات الحياة والخدمات المعيشية من ماء وكهرباء وما إليهما من خدمات وأخيراً تمكن الروائي وانطلاقاً من رؤيته السردية المتميزة مستعيناً من مهارته الفنية أن ترسم صور أبطاله بمهيمنة باهرة كما صور تصوراتهم وطموحاتهم نحو الظواهر الاجتماعية والسياسية ونحو بيئة نزلوا بها ففاجأتهم بما لم يعهدوها، حتى حصلت هناك مفارقات أضنت العائشين في تلك البيئة أيما إضناء.

المصادر

- الزجاجة، باقر جواد، بناء الشخصية الروائية وإشكالية تحول القيم بين الريف والمدينة، رواية القمر والأسوار أنموذجاً، مجلة أهل البيت، كربلاء، العدد 9.
- ادوارد مورجان فوسنر، أركان الرواية، ترجمة: موسى عاصي، مراجعة: سمر روي فيصل، ط1، جروس برس، 1994م.
- باختين، ميخائيل، الخطاب الروائي، ترجمة: محمد برادة، ط2، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، 1987م.
- باموق، أورهان، الروائي الساذج والروائي الحساس، ترجمة: ميادة خليل، منشورات الجمل، بيروت، 2015م.
- جعفر سليم، خالد، أنماط الشخصية في قصص جمال نوري، رسالة ماجستير، جامعة وان (تركيا)، 2017م.
- الحجيلان، ناصر، الشخصية في قصص الأمثال العربية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 2009م.
- الرويلي، ميجان؛ البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، ط5، 2007م.
- رحالي، سهام، كراري، إيمان، دراسة بنية الشخصية في رواية ماجدولين للكاتب مصطفى لطفي متطوطي، جامعة البليلة، كلية الآداب و اللغات (قسم اللغة العربية و آدابها)، السنة الجامعية 2020 - 2021.
- سلغي، فاطمه، روشنفكر، كبرى، ميرزائي، فرامرز، مقاله (اسلوبية السرد النسائي العراقي و التقاطب الماني في رواية: التانكي لعالية ممدوح، مجلة سياقات اللغة و الدراسات البينية، جامعة الفيوم، المجلد الثامن، العدد الثاني، نوفمبر 2023.
- صيام، محمد الشيخ محمود، رسالة دكتورى، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى. 1982م.
- عطا نعيسه، جهاد، في مشكلات السرد الروائي، الطبعة الأولى، دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2001م.
- كحوش، فتحية، بلاغة المكان (قراءة في مكانية النص الشعري)، الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2008م.
- وصفى، عاطف، الثقافة والشخصية، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1981م.
- هامون، فيليب، سيميولوجية الشخصيات، ترجمة: سعيد بنكراد، الرباط، ط1، 1990م.
- هلال، عبد الناصر، رؤية العالم في شعر أمل دنقل، دسوق، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، ط1، 2010م.
- الياسري، ابراهيم، الشخصية الانهزامية في رواية الوشم للرأي عبد الرحمن مجيد الربيعي، موقع كتابات الالكترونية، 2013م.